Journal of
Design Sciences and Applied Arts

وحدات المعنى ودورها في التعبير عن العلامة النفسية للصورة السينمائية

Units of Meaning and their Role in Expressing the Psychological Sign of the Cinematic Image

أمانى حسن غنيمة [١] وائل محمد عنانى [٢] كمال أحمد شريف [٣]

١- باحثة دكتوراه - كلية الفنون التطبيقية جامعة حلوان - مصر، ومدرس مساعد بكلية الفنون الجميلة - الحديدة - اليمن
٢- عميد كلية العلوم السينمائية والمسرحية - جامعة بدر - مصر
٣- أستاذ متفرغ بقسم الفوتوغرافيا والسينما والتلفزيون وعميد المعهد العالى للفنون التطبيقية سابقا- مصر

Submit Date: 2025-01-14 10:46:48 | Revise Date: 2025-03-14 12:24:46 | Accept Date: 2025-03-14 15:21:06

DOI: 10.21608/jdsaa.2025.351106.1443

ملخص البحث:-

يُعرَّف علم السيميوطيقيا النفسية Psychosemiotics Science على أنه دراسة كيفية تعلم البشر فهم واستخدام العلامات، ويركز على عمليات العلامة الديناميكية بدلاً من محتوى العلامة الثابت والمجرد نسبياً، وترتبط بالبيئات الثقافية ضمن القيود التي تفرضها العمليات التطورية للطبيعة، وتتشكل العلامات وأفعالها من خلال البيئات الاجتماعية والثقافية والطبيعية التي تحدث فيها. أما البعد النفسي يركز على عمليات الإدراك البشري المعروفة على نطاق واسع، ويعني تضمين التأثيرات العاطفية والاجتماعية والثقافية على العلامة. وتكمن مشكلة البحث في التساؤل التالي : هل يمكن لوحدات المعنى في الصورة السينمائية أن تعبر عن العلامة النفسية للشخصيات؟، وإن أهمية البحث في توسيع أفق جديد لفهم العلاقة بين العلامة النفسية ووحدات المعنى في الصورة السينمائية. والبحث يهدف لتقديم دراسة سيميوطيقية لدور وحدات المعنى في ترجمة العلامات النفسية للشخصية الدرامية، واستكشاف العلاقة بين وحدات المعنى (اللون، الإضاءة) والرسائل النفسية التي يتم توصيلها عبر الصورة. ويفترض البحث أن وحدات المعنى الصوري لها دور كبير في التعبير عن العلامات النفسية والمشاعر الداخلية للشخصية. أعتمد البحث المنهج الوصفي لتحليل وحدات المعنى ودورها في التعبير عن الحالة النفسية للشخصيات. ونتائج البحث أن لوحدات المعنى (اللون والإضاءة) دور أساسي في التعبير عن العلامات النفسية التي تعكس مشاعر وتفاعل الشخصية، وأن علم السيميوطيقيا النفسية يركز على كيفية تكوين المعاني من خلال إدراك الإنسان للعلامات وتأثير البيئة الثقافية والطبيعية في هذا الإدراك، توفر العلامة النفسية بيئة تواصل ملائمة تسهم في إثراء المعنى وتفتح آفاقاً جديدة للتأمل والتفكير عند المُشاهد، وان دلالة الصورة هي نتاج ترابط العناصر السيميوطيقية بالصورة السينمائية والدرامية. تساهم وحدات المعنى الإضاءة واللون في تشكيل انفعالات الشخصية.

الكلمات المفتاحية:-

العلامة النفسية- وحدات المعنى- السيميوطيقيا النفسية والصورة – مستوى الدلالة التضميني والتعييني للصورة.

المقدمة

تعتبر السيميوطيقيا أداة مهمة للكشف عن الأبعاد الإيحائية في الخطاب، حيث أصبح كل شيء في هذا السياق علامة تحمل دلالات متعددة. وقد اهتم السيميوطيقيون منذ فترة طويلة بتقاطع السيميوطيقيا مع العلوم الأخرى مثل الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس. استفاد السيميوطيقيون بشكل ملحوظ من علم النفس في التسعينات، حيث سعوا إلى إقامة ارتباط بين الشعور وإدراك العالم في إطار علاقة تواصلية تفاعلية بين الذات والعالم، مما استلزم تحديد ما تعنيه الذات. وبناءً على ذلك، أصبحت السيميوطيقيا تتعامل مع الانفعالات والمشاعر الذاتية كجزء من كينونة الإنسان وميوله، مما يمثل تطوراً في الدراسات السيميوطيقية التي لا تقتصر على أعمال دي سوسير، بيرس، موريس، وإمبرتو إيكو، بل تتجاوز ذلك لتستكشف العواطف والانفعالات والحالة النفسية. يرتبط هذا بفهم النفس على أنها جوهر الإنسان ومحركاً لنشاطاته المتنوعة، سواء كانت إدراكية، حركية، فكرية، انفعالية أو أخلاقية، حيث تشكل النفس عنصراً موازياً للجسد في تفاعلهما المستمر. ومن خلال هذا التفاعل تتكون الشخصية التي تميز الفرد عن غيره وتساهم في توافقه الخاص في حياته.

ومن جهة أخرى تعتبر الصورة السينمائية من أبرز العناصر التي يتم من خلالها التعبير عن المعاني النفسية والدرامية في الأفلام، فهي ليست مجرد انعكاس للواقع المادي بل وسيلة تعبيرية تعكس الأعماق النفسية لشخصيات العمل. وبما أن العلامة النفسية تركز على دور الإشارات والرموز في صنع معانٍ مشفرة وذلك عن طريق استخدام الإنسان لها لنقل المعلومات والتعبير عن مكنونات النفس. وبما أن العلامة في الصورة تشكل وسيلة أساسية لفهم كيفية استخدام الصورة لنقل المعاني النفسية من خلال وحدات المعنى (اللون والإضاءة). تهدف هذه الدراسة إلى تحليل وحدات المعنى في الصورة السينمائية وكيف تساهم في تعزيز الفهم النفسي لمشاعر وأحاسيس الشخصيات الدرامية، محاولاً كشف العلاقة بين هذه الوحدات والحالة النفسية المعبر عنها في الأفلام.

١- علم السيميوطيقيا النفسية
Psychosemiotics Science

يُعرَّف علم السيميوطيقيا النفسية Psychosomatics Science على أنه دراسة كيفية تعلم البشر وفهمهم واستخدامهم للعلامات، فهو يمثل جسراً تشتد الحاجة إليه بين علم النفس والسيميوطيقيا، اللذين غالباً ما كانا حلفاء غير مستقرين في محاولات فهم السلوك البشري والقصد والمعنى، إن البحث في علم السيميوطيقيا النفسية هو تقارب عملي بين التخصصين وهو ضروري لتحقيق مستويات جديدة من الفهم في هذه المواضيع.
فالسيميوطيقيا موضوعها الأساسي العلامات، والعلامة كما وصفها تشارلز بيرس* بأنها ثلاثية وغير قابلة للاختزال ومتواصلة، وهي أي شيء يمثل شيئاً آخر بالنسبة لشخص ما. إن التركيز على العلامات يعني التركيز على المعاني وصنع المعنى من خلال دراسة كيفية تعلم البشر وفهمهم واستخدامهم للعلامات، وينصب تركيز علم السيميوطيقيا النفسية على عمليات العلامة الديناميكية في السياق بدلاً من محتوى العلامة الثابت والمجرد نسبياً، فتحدث عمليات العلامة المرتبطة دائماً في البيئات الثقافية من نوع أو آخر ضمن القيود التي تفرضها العمليات التطورية للطبيعة، وتتشكل العلامات وأفعالها من خلال البيئات الاجتماعية والثقافية والطبيعية التي تحدث فيها.
علاوة على ذلك بحكم موقعها تتضمن العلامات دائماً تجسيداً لشكل أو آخر، أما بالنسبة للبعد النفسي فينصب التركيز على عمليات الإدراك البشري المعروفة على نطاق واسع، وهذا يعني على سبيل المثال تضمين التأثيرات العاطفية والاجتماعية والثقافية على العلامة (Psychosemiotics and its Peircean Foundations–page on line, 2024).

ومن خلال دراسة كيفية استخدام العلامات في السياق تصبح الجوانب العملية للعلامات وعملياتها ذات أهمية قصوى، بالإضافة إلى ذلك يهتم علم السيميوطيقيا النفسية بجميع علامات الإدراك وليس فقط اللغة اللفظية.

إن للعلامة النفسية أهمية بليغة فهي توفر بيئة تواصل ملائمة تعمل على تخصيب بيئة المعنى وتفتح آفاقاً جديدة للتأمل والتفكير، فكانت المعاني تؤخذ من الألفاظ نفسها وأصبح الوجدان يشترك في تلقيها.

ووظيفة العلامة النفسية مجموعة في الانفعالات والاضطرابات التي تؤثر في النفس وتسيطر على القوى الشعورية عند الإنسان، المتمثلة بالأمل واليأس والرهبة والرغبة والتحذير والإنذار، واعتبار كل ذلك مجالاً لأبعادها الموضوعية، فهي مقياس التأثر النفسي وميزان التجاوب الداخلي عكساً وطرداً.
ولأن النفس هي جوهر الإنسان ومحرك أوجه نشاطه المختلفة، إدراكية أو حركية أو فكرية أو انفعالية أو أخلاقية سواء على مستوى الواقع أو مستوى الفهم، والنفس هي الجزء المقابل للجسد في تفاعلهما وتبادلهما التأثير المستمر والتأثر مكونين معاً وحدة متميزة نطلق عليها لفظ (شخصية) تميز الفرد عن غيره من الناس وتؤدي إلى توافقه الخاص في حياته (دويدار ١٩٩٩م،ص:١٨)
وفي الأعمال السينمائية يعد جسد الممثل الوسيط بين الأحاسيس والانفعالات، أما الصورة فيمكنها إظهار ايماءات وجهه، والتركيز على حركات يده، ويجسد حركياً انفعالات الذات، فالممثل والمتلقي كلاهما "جسد حساس، مدرك فاعل، جسد يعبأ كل الأدوار المتفرقة للذات، جسد نعتبره سداً وتوقفاً يقود إلى تجسيد مؤلم أو سعيد للذات" (سعدية،٢٠١٦م، ص:١٤٤)

* تشارلز ساندرس بيرس : (Charles Sanders Peirce) (١٨٣٩- ١٩١٤م) سيميائياتي وفيلسوف أمريكي أستاذ في علم الفلك والرياضيات بجامعة هارفارد يلقب بأبي الفلسفة البرجماتية وله دراسات في السيميوطيقا .

وتركز العلامة النفسية على دور الإشارات والرموز في صنع معانٍ مشفرة وذلك عن طريق استخدام الإنسان لها لنقل المعلومات والتعبير عن مكنونات النفس.

وفي التصوير تحمل وحدات المعنى هذه الأحاسيس، من إضاءة ولون وضبط الكاميرا فجميعها تزيد التأثير عمقاً، ومنها تنتج شفرات مثل مستوى الإضاءة ولونية الصورة المتحركة ككل وطابع التكوين والحركة (عزت، ٢٠٢١) والتي تعبر عن مكنونات النفس.

تعرف العلامة النفسية بأنها كل ما يتضمنه لفظ أو حركة أو إيماءة من دلالات عند الفرد، فهي بذلك معنى فردي ذاتي ومن الصعب السيطرة على الدلالات النفسية لأنها متقلبة تبعاً لذات الإنسان (المصطفى،٢٠٠٧م، ص:١٥١)

كما تُعرّف العلامة النفسية بأنها تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم (أنيس،١٩٨٤م، ص:١٠٧)

ومن خلال التعاريف السابقة يعرف الباحث العلامة النفسية بإنها أي سلوك أو تعبير يظهر من الفرد ويعكس حالتة العاطفية أوالنفسية، وتشمل هذه العلامات لغة الجسد، تعبيرات الوجة ونبرة الصوت وتغيرات في الحركة أو النشاط وهذه العلامات تساعد في تفسير مشاعر الفرد مثل الحزن، القلق، الفرح، الغضب، اليأس وغيرها.

وعالم النفس يستخدم هذه العلامات لتحليل أشكال مختلفة من التواصل عن طريق تعابير الوجه ولغة الجسد أو سلوك معين أو انفعال مثل الخوف أو السعادة...الخ.

٢- سيميوطيقيا الصورة السينمائية Semiotics of the Cinematic Image

حظيت سيميوطيقيا السينما باهتمام كبير فيما يتعلق بإمكانية دمج النقد السينمائي وجماليات السينما ضمن علم العلامات العام، حيث تعتمد السينما بشكل كامل على الأيقونات البصرية أو السمعية وهذه الأيقونات تشكل علامات داخل الصورة، والتي تُعرض كجزء من معلومات يمكن اعتبارها مجموعة من البنى الذهنية والانفعالية التي تنقل للمشاهد تأثيرات معقدة، مما يساهم في صقل شخصيته وتثقيفه. لذلك فإن الدراسة الواعية لهذه التأثيرات تشكل الهدف والجوهَر الأساسي للمعالجة السيميوطيقية للصورة السينمائية (لوتمان، ١٩٨٩م، ص:٤٧) يتعامل الفيلم السينمائي مع الأشياء والأفكار والمجردات ويقدمها من خلال أشكال (علامات) محسوسة يمكن أن تُدرك من قبل المُشاهد، فهو يقدم حالة تعبيرية تلعب العلامة دورها في توليد المعنى، ويلعب الجو العام دور الدوال السينمائية الأخرى في إبراز المعنى المرغوب فيه. للصورة السينمائية تعبير واضح ومدرك وسهل من حيث الاستيعاب الإنساني لها، وتفترض العلامة الصورية أو الأيقونية تعبيراً وحيداً لكل دلالة تعبيراً يرتبط بهذه الدلالة بصورة طبيعية (لوتمان، ١٩٨٩م، ص:٥٩).

ويصف رولان بارث* الصورة الفيلمية بأنها خدعة مشيراً إلى أن الصورة أمام المشاهد كائنة من أجل خلق علاقة مزدوجة بين الدال والمدلول، المدلول لديه يحتوي على غموض، حيث يُعرَّف ككيان عقلي في ذهن المشاهد أو كشيء موجود خارج الفيلم يحتاج إلى تحقيقه داخله (عبدالمحسن،٢٠١٥م، ص:٤١٠)

كما فرق بارث بين التعبير الفيلمي كواقع مُختَرع وبين الإشارات الفيلمية التي تدرك من خلال الأحداث خارج المشاهد. اعتبر أن العلاقة الفيلمية تتميز بالمماثلة وقرب الدال من المدلول. في النهاية، اعتبر بارث الصورة الفيلمية خدعة ودلالتها عملية ثانوية في السيميوطيقيا، يشير ج. ميتري** إلى أن الفيلم لا يقدم نسخة مباشرة من الواقع، بل يتطلب وساطة، وأن الدلالة السينمائية تنبض بالحياة فقط في إطار من الغموض. ويضيف ميتري قائلاً: "على الرغم من أن السياق قد يساهم في تحديدها وتوجيهها، يظل غموض الدلالة ضرورياً للوضوح الفيلمي". كما يصف ميتري الصورة كعلامة فيلمية أولية، وهو ما يتفق معه كرستيان ميتز***، الذي يعرف الدال الفيلمي بأنه الصورة، بينما المدلول هو ما تمثله هذه الصورة.ومثل بارث يعتبر بازوليني**** أن العلاقة الفيلمية الأولية تنتمي إلى مستوى الواقع التمثيلي فمن وجهة نظره الدوال الفيلمية هي الموضوعات والأشكال وأفعال الواقع التى تؤلف الصورة الفيلمية.

ونخلص من كل ما سبق إلى أن الدلالة الفيلمية يتم التعبير عنها بوسائل اللغة السينمائية ويستحيل خروجها خارج اللغة، وهي نتاج الترابط الذي يقوم بين عناصر اللغة السينمائية.

٣- الدلالة الأصلية التعيينية (Denotation) والدلالة الإضافية التضمينية (Connotation) في الصورة السينمائية

يعتبر بيرس الكون علامة كبرى لا نهائية من العلامات ولا يمكن للإنسان أن يدرك الأشياء أو يتعامل معها إلا على أنها علامات، ولكي نفهم العالم من حولنا يجب أن نفهم العلامات من خلال الإدراك والتواصل الإنساني.

وبما أن الممارسة الإنسانية تتسم بالغنى والتحول وتحيل الضمني والكامن والمستتر فإن الدلالة تتميز بالتعدد والغنى، ولهذا ميز بيرس بين المستويات الدلالية: مستوى

* رولان بارث(Roland Barthes) (١٩١٥- ١٩٨٠م) ناقد أدبي ودلالي ومنظّر اجتماعي، أثر في تطور مدارس عدة كالبنيوية والماركسية وما بعد البنيوية والوجودية، بالإضافة إلى تأثيره في تطور علم الدلالة.

** جان ميتري(١٩٠٧-١٩٨٨م) منظر وناقد سينمائي فرنسي.

*** كريستيان ميتز(Christian Metz) (١٩٣١-١٩٩٣م) عالم اجتماع وناقد سينمائي فرنسي.

**** بيير باولو بازوليني (Pier Paolo Pasolin) (١٩٢٢-١٩٧٥م) : شاعر ومفكر ومخرج أفلام وكاتب إيطالي، يعد ظاهرة ثقافية استثنائية لأنه تميز في عدة مجالات مثل الصحافة والفلسفة واللغة والكتابة الروائية والكتابة المسرحية والإنتاج السينمائي والرسم والتمثيل والسياسة، أظهر براعة استثنائية في هذه المجالات ما جعله شخصية مثيرة للجدل .

الدلالة الأصلي (التعييني) (Denotation) ومستوى الدلالة الإضافية (التضميني)(Connotation) .

إن أي صورة تمر على الشاشة علامة تحمل معلومات ولها دلالة فالصورة السينمائية تعيد عرض الواقع، وبين الأشياء الحقيقية وصورها تقوم علاقة دلالية ، فالأشياء هذه تصبح بمثابة دلالات للصور المعروضة، وقد تحمل هذه الصور دلالات إضافية.

وقد اعتمد رولاند بارثRoland Barthes مفهوم لويس هيلمسليف* بوجود طبقات مختلفة للدلالة ويطلق عليها مستويات التمثيل (Level of significations) ومستويات المعنى (Level of meaning)، والمستوى الأول من إنتاج المعنى (المعنى الأساس للعلامة) خاص بالدلالة الأصلية (Denotation)، حيث تتكون العلامة من دال ومدلول يُكشف عنه من خلال العلامة نفسها، تحدد تأويله وفقاً لمعطيات الموضوع مباشرة، ويتشكل في ذهن مدير التصوير، ويتحقق فعلياً من خلال موقع التصوير باستخدام وحدة إضاءة معينة، حساسية الوسيط الذي تسجل عليه الصورة، فتحة عدسة معينة، واختيار اللون، وهذه العناصر تمثل الدال الأصلي، بينما المدلول الأصلي هو التحقق البصري للتصور الذهني الذي أراده مدير التصوير ونفذه في موقع التصوير باستخدام الدوال الأصلية (عزت، ٢٠٢١).

بينما المستوى الثاني من إنتاج المعنى (المعنى الثانوي للعلامة) خاص بالدلالة الإضافية (الإيحائية، الضمنية) (Connotation) وهي تستمد وجودها من الدال في العلامة الأصلية (دال ومدلول) كدال لها، وتضيف إليه مدلولاً إضافياً لايظهر بشكل مباشر، بل يتم تفسيره من خلال الدال الذي يتشكل في ذهن المُشاهد أثناء العرض، يظهر الدال الإضافي في الشكل البصري النهائي لجميع لقطات الصورة المتحركة، حيث تترابط جميع عناصر الفيلم أو المسلسل، أما المدلول الإضافي فهو التصور الذهني الذي يتولد في عقل المُشاهد.

وهذه هي الآلية التي تسمح بأن تبدو العلامات كأنها تعنى شيئاً ما بينما هي مشحونه بمعان كثيرة.

العلامة النفسية والصورة The psychological sign and the image

إن العلامة النفسية تقترب من الدلالة الذهنية في معناها، إلا أنها تستخدم في نطاق علم النفس باعتبارها التذكر الواعي لمدرك حسي سابق كله أو بعضه في غياب المنبه الأصلي للحاسة المثارة، بعبارة أخرى الصورة في علم النفس انطباع أو استرجاع أو تذكر خبرة حسية أو إدراكية ليست بالضرورة أن تكون بصرية، على الرغم من أن الصورة البصرية هي الحالة الطبيعية للتفكير لدى معظم الناس، وفي حقيقة الأمر ليست سوى نقطة انطلاق حسي سرعان ما تلتقي مع بقية الحواس في عمليتي الإدراك والتلقي، ومن ثم عملية توليد الصور عبر إحيائها أو استرجاعها بعد غياب المنبه الحسي بطريقة يمكن أن تثير في النفس صدق وحيوية الإحساس.

العلامة النفسية والإضاءة The psychological sign and Lighting

العلامة هي شيء يحل محل شيء آخر، والعلامة النفسية كل ما يتضمنه لفظ أو حركة أو إيماءة من دلالات الفرد، كما أنها تلك الظلال التى تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم، بمعنى أنها متقلبة تبعاً لذات الإنسان. والإضاءة هي وحدة من وحدات المعنى وهى العنصر الأساس والخلاق لتعبيرية الصورة، وتخلق طاقة تعبيرية نفسية وجمالية، حيث يقول مدير التصوير سعيد شيمي** في كتابه الإدراك والمتعة في صورتي السينمائية: "يجب على مدير التصوير أن ينظر إلى الضوء على أنه كائن حي يستطيع أن يلاحظ فرحته وألمه، وشحوبه، ونعومته، ويستشف استقامته وحيوده كما يرضخ لحدته، والضوء له ربيع وشتاء، له قوة وقسوة في شمسه، وخفوت في ظله وهو يسيل في اللقطة مشكلاً معانٍ لا حصر لها، الضوء سيبقى دائماً الأهم بالنسبة لي ولأي مدير تصوير في هذا العالم" (شيمي،٢٠٢٠، ص:٢٣)، وندرك هنا أن الصورة في السينما ليست ضوءاً فقط لمكان ما، الضوء كائن حي يساعد مدير التصوير للتعبير عن الحالة النفسية للشخصية والموضوع المراد تصويرة، ويولد معانٍ لها تأثيرات نفسية يدركها المشاهد عقلياً وحسياً، ويقول ماهر راضي* في كتابه فن الضوء: "لغة الكلمة يدركها العقل بينما لغة الضوء لغة محسوسة تأثيرها نفسي على الإنسان يدركه بإحساسه" (راضي،٢٠٠٥م،ص:٣٧)، فالإضاءة علامة يوجد بها دال ومدلول، فالضوء هو الدال والمعنى منه هو المدلول. ووحدة الإضاءة هي الدال والتأثير البصري هو المدلول الذي يحمل المعنى خلال مرحلة ما قبل التصوير. **على سبيل المثال فيلم ليلة قمر ١٤**** الفيلم تقع أحداثه حين يكون قمر ليلة ١٤ بدر تمام في سماء مصر، تحدث فيه أربع قصص مختلفة عن علاقات عاطفية تحاول الصمود والنجاح، حيث يصطدم أصحابها بعدة موانع مختلفة يفرضها عليهم المجتمع لتعوق علاقتهم وتهددها بالفشل.

ففي أحدى قصص الفيلم التى تدور أحداثه في صعيد مصر يتم منع ارتباط البطلين لإختلاف اديانهم وتأتي مريم(أسماء أبو اليزيد) إلى حبيبها إبراهيم (أحمد حاتم) الذي يختبىء من أهلها خوفاً من قتله داخل هنجر به مشتقات نفطية تابع للحكومة، تأتي تطلب منه السماح بعد ذلك يلحق بها أخيها وتختبىء مع إبراهيم داخل الهنجر ويتم

* لويس هيلمسليف، فيلسوف دنماركي ولد ١٩٥٦م، صاحب نظرية البنيوية التحليلية.

** سعيد شيمي مصور سينمائي مصري- ولد في عام ١٩٤٣م – نال العديد من الجوائز المحلية والدولية – له العديد من المؤلفات في التصوير السينمائي- أول مدير تصوير يقتحم مجال التصوير السينمائي تحت الماء.

* ماهر راضي (١٩٤٥-٢٠٢٢م) مدير تصوير سينمائي مصري - وأستاذ الإضاءة والتصوير السينمائي بـ (المعهد العالي للسينما أكاديمية الفنون بالقاهرة) – حاصل على العديد من الجوائز في التصوير السينمائي.

** فيلم ليلة قمر ١٤ فيلم درامي مصري، إخراج/ هادي الباجوري، مدير التصوير/ أحمد بشاري، إنتاج٢٠٢٢م.

تصعيد الأحداث وتوترها بين الأخ الذي يريد أن تخرج أخته وبين أصدقاء إبراهيم خارج الهنجر ومن ثم تأتي الشرطة بعد أن يتصل بهم إبراهيم لكي تفرق الاشتباك ففي مشهد تترجى فيه مريم إبراهيم بإن تخرج وهو يخبرها بإن الضابط سيأتي ويخرجهم تخبره بإنها في كل الأحوال ميته ويطلب منها أن تغنى له ليخفف من حده توترها ورعبها، فتخبره بإنها لن تستطيع هنا مدير التصوير سلط على وجهها ضوء حاد وهو (الدال) يأتي من فتحه صغيرة يضيء ثلاثة أرباع وجهها، فالضوء الحاد يعبر عن حالتها النفسية وإنهيارها بالبكاء وقسوة الآلم الذي تشعر به في داخلها والرعب من أهلها وهي تخبرة أنه لا يوجد مهرب منهم وهذا هو مدلول الضوء الحاد كذلك تجسدت العلامة النفسية من خلال حركات وجه الممثلة كما موضح في الصورة رقم (١-١).

صورة رقم (١-١) توضح الضوء الحاد الذي يدل على قسوة الآلم

وعندما يطلب الضابط من الناس بأن يذهبوا يطلب منه أخو مريم دقيقتين ويقول يا إبراهيم عايز أختى يا إبراهيم ويستمع له إبراهيم بانصات لقطة لعينى إبراهيم وهو يصغى وترمش عينيه بتوتر وقلق لما سيقوله أخوها والإضاءة هنا حادة ورغم حدتها لكنها توضح مدى براءة عينيه كما في الصورة (١-٢) ويقول خدها معاك بس على جهنم ويلقي أخيها السيجارة على الهنجر وتشتعل النار داخل الهنجر.

صورة رقم (١-٢) توضح توتر وقلق إبراهيم

فالضوء الحاد هنا في نفس المشهد جاء بعلامتين نفسيتين مختلفتين فالمعنى الأول قسوة وآلم داخل مريم، والمعنى الثاني قلق وتوتر إبراهيم وكذا دل على براءة عينيه وبراءة الحب الذي داخله من خلال نظرته وهنا أيضاً تجسدت العلامة النفسية من خلال الإضاءة وتعابير وجه الممثل.

العلامة النفسية واللون The psychological sign and color

يركز علم السيميوطيقيا النفسية على عمليات العلامة الديناميكية في السياق، ويهتم بجميع علامات الإدراك، وتضمين التاثيرات العاطفية على العلامة، والعلامة النفسية سلوك أوتعبير يظهر من الفرد ويعكس حالته العاطفية أوالنفسية وتشمل هذه العلامات لغة الجسد وتعبيرات الوجة وغيرها والتى تساعد في تفسير مشاعر وإحاسيس الفرد مثل الحزن والقلق والفرح والغضب وغيرها من العلامات.

ويُعد اللون علامة بصرية له دال ومدلول تشير إلى شيء آخر غير ذاته. وفي هذه الحالة يعتبر اللون المرئي علامة قادرة على استبدال أشياء متنوعة. وتشكل الألوان دلالات نفسية تساعد في فهم معانيها وعلاقتها بالموضوع أو السياق، ما يجعلها ليست جزء من اللغويات، بل وسيلة للتواصل البصري بفضل قوتها التعبيرية، فاللون (دال) يخلق المعاني ويثير المشاعر والإحاسيس النفسية، كما يعزز الدلالات النفسية الضمنية الدرامية، وجميعها هي المدلول للدال، ومن أبرز خصائص استخدام اللون هو فهمه كرمز، حيث يحمل فكرة درامية ونظام تعبير. وللون وظيفة جمالية ودلالية فهو يؤثر في الحالات النفسية من انفعالات ورغبات وعواطف، مما يطغى على إحساس المُشاهد وفكرة الواعي. والالوان تنبة الذهن وتثير المشاعر وتضخم ردود الفعل، حيث يؤثر تدفق الألوان من لقطة لآخرى على المضمون الدلالي للفيلم. كما في نفس الفيلم السابق قمر ليلة ١٤ حينما تشتعل النار ينظر إبراهيم لمريم ويبدو على ملامحة المضطربه القلق ويقول لها أكيد ربنا ما بيعاقبش على الحب كما في الصورة (١-٣(أ)) هنا لون الإضاءة أصفر على جزء من شعر إبراهيم وعلى حافه عينه والذي يدل على الاضطراب والقلق وكذا الدفء، وفي الصورة (١-٣(ب)) يظهر على ملامح مريم الخوف والحزن وتجيبه لا ما بيعاقبش هنا اللون أصفر محمر على نصف وجهها والذي يدل على الإضطراب والخوف وفي نفس الوقت الحب والدفء، وهنا من خلال اللون وملامح الممثلين تجسدت العلامة النفسية.

صورة رقم(١-٣(أ))

صورة رقم(١-٣(ب))

الصورتان تجسدنا العلامة النفسية للون

٤- وحدات المعنى ودورها في التعبير عن العلامة النفسية*

يستخدم مصمم الصورة السينمائية وحدات المعنى مثل الإضاءة واللون وغيرها من الدلالات لإبراز العلامة النفسية التي تعكس تعابير وجه الممثل وانفعالاته، يُعد البناء الضوئي العملية الأساسية في تصميم الإضاءة في الصورة المتحركة بشكل عام، إذ من خلاله يتم تعزيز الصورة بشحنات تعبيرية معينة، مثل درجة التباين ومستوى الإضاءة، وكذلك زاوية الضوء وطبيعته وهذه العناصر تتكامل لتساهم في تفاعل إبداعي مع موضوع الصورة السينمائية ومضمونها وأسلوب السرد، بهدف تشكيل أفكار ومشاعر تجذب إنتباه المشاهد وتوجهه نحو الفكرة الرئيسية للعمل (Ammer, 2020).

ففي فيلم العجلة المدهشة (Wonder wheel)** جسدت الحالة والدلالات النفسية وتقلباتها للممثلة كيت وينسليت بدور (جيني) في مشهد تعترف لعشيقها الشاب بعمرها الحقيقي وكذلك بأنها زوجة، وكيف خانت علاقتها بوالد ابنها وزوجها الحالي، مستخدماً لقطة قريبة كما موضح بالصورتين رقم(١-٤(أ،ب)) لوجهها المحرج والمرتبك فهي أكبر منه سناً، وقد استخدم طبقة الإضاءة المنخفضة، وتعتبر (الدال) لعموم اللقطة.

كما استخدم ضوءاً أصفراً حاداً على جانب وجهها، تتغير شدته ومساحته بتقلباتها النفسية وانفعالاتها التي هي خليط من الارتباك والتوتر ولحظات الصدق والصفاء ولحظات إخفاء الحقيقة واضطرابها وغشها، فمدى تقلب نفسيتها تم التعبير عنه من خلال نسبة تباين الإضاءة على وجهها، فعندما قالت أنا في الـ ٣٩ من العمر بدا الجانب الأيمن من وجهها أكثر وضوحاً واللقطة في العموم أكثر دفئاً، ومن خلال اللون البرتقالي عبّر ستيرارو عن حالتها النفسية وأعطى معنى درامياً واضحاً لاضطرابها النفسي وتناقضها.

صورة رقم (١-٤(أ))

صورة (١-٤(ب))

الصورتان توضحان العلامة النفسية

كذلك في المشهد نفسه تتجسد العلامة النفسية من خلال حركات وايماءات (جيني)، ومن الملاحظ ازدواجية اللون (الدال) حسب درجته، واستخدامه في الصورة يغير معنى العلامة (المدلول) (Ammer, 2020). ففي اللقطة التي تسأل فيها جيني عشيقها هل ستفسد علاقتهما لأنها متزوجة في الصورة رقم (١-٥)، بدت على وجهها البراءة وفي الوقت نفسه القلق، والإضاءة منتشرة ناعمة على وجهها، واللون البرتقالي (الدال) يعبر عن الدفء والحب والجنس ورغبتها الاستمرار في العلاقة (المدلول)، كما أضفت إضاءة التحديد Rim Light جمالية على الجانب الأيسر من شعرها وفصلتها عن الخلفية.

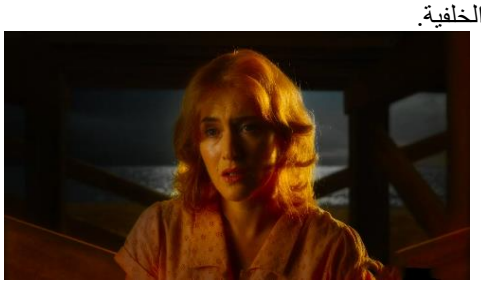

صورة (١-٥) هل ستفسد علاقتهما لأنها متزوجة

وفي الصورة (١-٦) اعترافها بحبها الشديد لزوجها الأول وإنجابها طفلاً منه، ففي هذه اللقطة جسدت الكثير من الدلالات النفسية المتناقضة؛ فبدا على وجهها اللونان الأصفر والأحمر، فالأصفر على الجانب الأيمن من وجهها وشعرها يدل على الحب والدفء الذي كان بينها ووالد ابنها، فيما يدل اللون الأحمر على الجانب الأيسر من وجهها على الحب والرومانسية والجنس بينهما، فاستخدام اللونين الأصفر والأحمر (كمدلول) رمزي على مشاعر الحب والعشق والشهوة بينهما ومدى حبها

* تحليل الباحث

** إخراج وتأليف / وودي آلن (Woody Allen) - مدير التصوير / فيتوريو ستورارو (Vittorio Storaro).

لزوجها، واتجاه مصدر الضوء واختلاف اللون أضفى اختلافاً كذلك على لون عينيها، فبدا لون عينها اليمنى يميل للون الأخضر الشفاف الذي يدل على هدوء وسكينة وانتعاش علاقتهما، بينما العين الأخرى بدا لونها بُنياً عندما امتزج معه اللون الأحمر.

صورة رقم (١-٦) اعترافها بحبهما الشديد لبعضهما وارتزاقهما طفلاً

في الصورة (١-٧) تصف له تحطم قلب زوجها بعد معرفته بالخيانة وتركه لها، اقتربت الكاميرا منها Zoon in بدا وجهها أكثر اعتاماً وطغى اللون الأحمر على اللقطة، وحول أكتافها رتوش من اللون الأصفر على الجانب الأيمن لوجهها، وأضفى اللون الأحمر ودلالته معنى دراماياً اختلف عن الصورة السابقة حيث يرمز اللون الأحمر هنا للنار المشتعلة في داخلها لحزنها الشديد على زوجها وانهيارها، واللون الأصفر أعطى جمالية للقطة، وفي عموم اللقطة نلاحظ التناقض في مشاعرها بين حب وخيانة.

صورة رقم (١-٧) تحطم زوجها بعد معرفته بالخيانة

وفي المشهد نفسه وبحجم اللقطة نفسه في الصورة (١-٨) بعد لقاء جيني زوجها الحالي (هامبتي)، وكان أيضاً يعاني من الفقد وروحه ضائعة ووقف كلٌ منهما بجانب الآخر، أوصل لنا مدير التصوير ستيرارو معانٍ مختلفة تماماً في علاقتهما، ومزج ستيرارو بين الألوان الدافئة والباردة في اللقطة نفسها، ليصف علاقة جيني مع هامبتي فأصبحت اللقطة نوعاً ما باردة من خلال اختلاف لونها مع مسحة صفراء دافئة، حيث كان مصدر الضوء موجه على شعرها في الجانب الأيسر، أما على وجهها فكان التباين بين الظل والضوء يعطى إحساساً بالبعد الثالث ويساعد على شكل الخطوط الثلاثية الأبعاد الموجودة على وجه جيني.

صورة رقم (١-٨) مساعدة كل منهما الآخر

بينما في الصورة (١-٩) مضت خمس سنوات على علاقتهما وظهرت أشد برودة وفتوراً، وفي الصورة (١-١٠) قالت إنها تعلمت الحب مع والد ابنها، وتعلمت مع هامبتي فقدانه، استخدم إضاءة منتشرة على وجهها باردة كالثلج، وبدا وجهها شاحباً وظهرت عليه تجاعيد، وكأنها تقدمت كثيراً في العمر مع هامبتي، وأصبحت مقدمة اللقطة وخلفيتها تحاكي بعضها البعض ببرود حياتها الحالية، وفقدانها مشاعر الحب والدفء، في الصورة (١-١١) تقدم عشيقها لمواساتها وأصبحت أكثر دفئاً دليل على الحميمية التى بينهما والتى فقدتها مع هامبتي.

صورة رقم (١-٩) مضت خمس سنوات

صورة رقم (١-١٠) عرفت معنى الحب مع أبو ابنها وفقدانه مع هامبتي

صورة رقم (١-١١) عشيقها يواسيها

أن العلامة النفسية تتمحور حول الذات وتمد المشاعر بنشاط كبير، كما أنها تحفيز تواصلي تفتح في وجدان

المتلقى أفقاً لقبول الخطاب أو سماعه على الأقل قبل رفضه ومقاطعته، وإعطاء المتلقي فرصة لسماع صوت العقل، وهي مفتاح العلاقة الحوارية بين المرسل والمتلقي، وهذا ما جسده ستيرارو من خلال تصميمه، فالمصمم يعبر عن دلالة الصورة المتحركة من خلال عناصر لغتها، فدلالة الصورة هي نتاج ترابط العناصر السيميوطيقية ترابطاً خاصاً بالصورة السينمائية والدرامية وحدها.

نتائج البحث:

١- أن علم السيميوطيقيا النفسية يركز على كيفية تكوين المعاني من خلال إدراك الإنسان للعلامات وتأثير البيئة الثقافية والطبيعية في هذا الإدراك.
٢- توفر العلامة النفسية بيئة تواصل ملائمة تسهم في إثراء المعنى وتفتح آفاقاً جديدة للتأمل والتفكير عند المُشاهد.
٣- لوحدات المعنى وعلى الخصوص اللون والإضاءة دور أساسي في التعبير عن العلامات النفسية التى تعكس مشاعر وتفاعل الشخصية.
٤- يعزز البحث فكرة أن اللون والإضاءة علامات نفسية تساهم في إظهار الحالة النفسية للشخصيات ويضفيان طابعاً درامياً يعزز المعنى العاطفي للنص.
٥- أن دلالة الصورة هي نتاج ترابط العناصر السيميوطيقية بالصورة السينمائية والدرامية.
٦- تساهم وحدات المعنى الإضاءة واللون في تشكيل انفعالات الشخصية كما تظهر في الأفلام، وتساعد على نقل الحالة النفسية للمشاهد من خلال تغير شدة الضوء ومساحته والتباين بحسب التقلبات النفسية للشخصية وانفعالاتها (الارتباك والتوتر ولحظات الصدق والصفاء ولحظات إخفاء الحقيقة واضطرابها وغشها).

يوصي الباحث الإهتمام من قبل الباحثين بعمل المزيد من الدراسات النقدية والتحليلية حول السيميوطيقيا النفسية وعلاقتها بالصورة السينمائية.

المراجع:

أولاً/ المراجع العربية:

١- أنيس،إبراهيم(١٩٨٤)، **دلالة الألفاظ** ، ط٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
٢- شيمي،سعيد (٢٠٢٠)، **الإدراك والمتعة في صورتي السينمائية**، ط١، القاهرة: الهالة للنشر والتوزيع.
٣- العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، سوسن محمد عزت (٢٠٢١) **وحدات المعنى الأساسية في اللغة والتصوير السينمائي (مدخل سيمولوجي)** المجلد(٦)، العدد(٢٩)، ص٢٠١.
٤- دويدار،عبدالفتاح محمد(١٩٩٩)، **مناهج البحث في علم النفس**، ط٢، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
٥- المصطفى، عواطف كنوش(٢٠٠٧)، **تأليف الدلالة السياقية عند اللغويين**، ط١، لندن: دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع.
٦- راضي، ماهر(٢٠٠٥)، **فن الضوء**، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما.
٧- عبدالمحسن، ماهر(٢٠١٥)، **جماليات الصورة في السيميوطيقيا والفينومينولوجيا**، ط١، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٨- سعدية،نعيمة(٢٠١٦)، **التحليل السيميائي والخطاب**، ط١، الأردن:عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
٩- لوتمان، يوري(١٩٨٩) **قضايا علم الجمال السينمائي : مدخل إلى سيميائية الفيلم**، ط١، ت: نبيل الدبس.، سوريا : النادي الأهلي بدمشق.
١٠- لوتمان، يوري(١٩٨٩) **قضايا علم الجمال السينمائي : مدخل إلى سيميائية الفيلم**، ط١، ت: نبيل الدبس.، سوريا : النادي الأهلي بدمشق.

ثانياً/ المراجع الأجنبية:

1- **Psychosemiotics and its Peircean Foundations**–page on line .(12-4-2024)http://www.digitalpeirce.fee.unicamp.br/PsychosemioticsandPeirce.pdf.
2- Amme,Sawsan(2020) Information Sciences Letters - An International Journal-**,Content Analysis of Lighting and Color in the Embodiment of Fear Concept in Horror Movies: A Semiotic Approach**,Inf.Sci.Lett.9,No.2,135-142